كلاكيت

سينما ٢٠٠٤
وقضايا التعاطف الإنساني

ترجمة / عادل العامل

يتجه مسار المشهد الأكثر روحية في سينما عام ٢٠٠٤ نحو نهاية الفلم الأجنبي اللغة، (يوميات الدراجة البخارية -The Motor cycle Diaries). فهنا يعمل الشاب أرنستو الذي سيشتهر عالمياً باسم شي غيفارا، طبيباً مع المجذومين في أمريكا الجنوبية، ويقع المستشفى، والمختبر ومساكن العاملين على جانب نهر الأمازون، بينما يقيم المجذومون على الجانب الآخر. وفي اليوم الأخير من خدمته يشرب أرنستو نخب الأطباء والممرضات الذين كانوا غاية في اللطف نحوه. ثم يمضي سباحة عبر نهر الأمازون ليودع المجذومين. ويشكل هذا السلوك التضامني العفوي تجاه أصحابه المنبوذين علامة التحول في شخصية أرنستو.

إن الانتقال إلى الجانب الآخر للوقوف مع الفقراء والمسحوقين، منبوذي المجتمع، المتعرضين للتوبيخ والازدراء، تحد روحي أساسي - وممارسة - في هذا القرن. فالهوة بين الأغنياء والفقراء، الأصحاء والمرضى، والذين يملكون وأولئك الذين لا يملكون، والمحظوظين وغير المحظوظين، تزداد اتساعاً كل يوم. وإنها للحظة نعمة حقاً تلك التي يرينا فيها فلم من الأفلام كيف نصل بين هذه الفجوات.

وتنطوي الأفلام الأكثر تهذيباً من الناحية الروحية لهذا العام على لحظات أخرى مثل هذه. فيروي لنا فلم (فندق رواندا Hotel Rwanda) قصة رجل أفريقي بطل يجد مكاناً آمناً لأسرته حين تبدأ الإبادة الجماعية في بلده عام ١٩٩٤، واستجابة لحث زوجته له، يوسع دائرة عطفه وينقذ جيرانه وحتى أناساً غرباء عليهم تماماً. فيرينا بذلك ما تعنيه النجدة في وقت يكون عالمنا فيه يعاني العنف الصاعق والتمزقات.

وتزودنا أفلام أخر على قوائمنا بممارسة طيبة للتقمص العاطفي، تشجعنا على وضع أنفسنا في مكان أولئك الذين لا نتعرف عليهم في الظروف الاعتيادية. فنحن في (الحطاب The Woodsman) نكتشف كفاح متحرش بالأطفال قطع عهداً على نفسه بإصلاح حياته. وفي (فيرا دريك Vera Drake) نتابع ربة بيت إنكليزية وفية وعطوفاً تقوم لسنين عديدة بإجراء عمليات إجهاض. فالقانون يقول إنها مجرمة لكنها تعتقد بأنها تفعل الصواب بنجدتها لامرأة في ضيق. وفي (البحر من الداخل The Sea Inside) مطلوب منا أن نتفهم آلام شخص مصاب بالشلل الرباعي يريد أن ينهي حياته. فأسبانيا لا تسمح بالقتل الرحيم، ولابد لهذا الشخص من الاستعانة بالآخرين لمساعدته على ذلك. وفي (أخوان Two Brothers)، نجد أنفسنا نتعاطف مع غرين، يبدو العالم المتمدن مختلفاً تماماً عند رؤيته بأعينهما.

إن أحد تعريفات الروحية (أو التعلق بالقيم الروحية) هو أنها (فن تكوين الاتصالات). والإنجاد والتقمص العاطفي هما طريقتان للممارسة. وهناك تعريف آخر بأنها خلق الناس وإدراكهم طرقاً جديدة في أن يكونوا جماعة اجتماعية معينة. ويرينا العديد من الأفلام هذا العام الناس وهم يحسنون نوعاً جديداً من الأسرة. ففي (Finding Neverland)، نجد أن ج. م. باري، الكاتب المسرحي الإنكليزي، متزوج لكنه يتوق إلى أسرة أكبر. ويقيم علاقة صداقة مع أرملة وأبنائها الأربعة الذين يشكلون عندئذ إيحاءً له بالقصة الهازلة المعروفة لدينا الآن بعنوان (بيتر بان). وفي (Million Dollar Baby)، تصبح ملاكمة وحيدة ومدربها المسن الفظ أسرة واحدة، وهما يساعدان بعضهما بعضاً على تحقيق أحلامهما ويكون أحدهما للآخر مهما كان.

وفي (أغنية حب لبوبي لونغ)، ترث امرأة شابة بيتاً من أمها وتكتشف أنه يكون كاملاً مع رجلين سكيرين. ويمتلك كل واحد من هؤلاء الثلاثة تأثيراً هائلاً في الآخر ويصبحون أسرة.

أسئلة السينما القلقة

علاء المفرجي

مرة أخرى تتناول السينما قضية اختطاف واغتيال المعارض المغربي مهدي بن بركة بعد أربعين عاماً من وقوعها، وهي القضية التي أثارت حينها الرأي العام الفرنسي، للطريقة التي تمت ولغموض دوافعها.. فأخبار السينما تفيد ببدء المخرج الفرنسي سيرج لوبيرون بتصوير هذا الفيلم الذي يحمل عنوان (لقد شاهدت مقتل بن بركة) وهو عنوان المقال الذي نشره جورج فيغون في صحيفة (لكسبرس) قبل أسبوع من العثور عليه ميتاً في ظروف غامضة أيضاً.

ومرة أخرى تعود السينما لإثارة الأسئلة القلقة والمنسية، لتتجلى أهميتها في مقدرتها الفائقة على التحول من مجرد عرض فني تنحصر مهمته في الترفيه والتسلية إلى أداة خطرة من أدوات الوعي والمعرفة.

ولعل نظرة متفحصة لمسعى السينما في هذا المجال، تؤكد نجاحها في الخوض بمثل هذه القضايا الشائكة، والإجابة على الكثير من الأسئلة، باعتماد الوثائق واستنطاق شهود الحدث، وكشف الحقائق المسكوت عنها بفعل التواطؤات والصفقات غير المعلنة التي يقف وراءها أصحاب النفوذ والقرار.

وإذا كان لابد من أن تتوقف إلى هذا النوع من الأفلام، فلا بد من أن نشير إلى فيلم المخرج الإيطالي الكبير فرانشيسكو روزي (قضية ماتي) بداية السبعينيات الذي يتناول قضية مصرع (انريكو ماتي) رئيس إحدى الشركات الإيطالية الكبرى الذي تجرأ على خرق قوانين احتكار اتحاد ملوك النفط الذي تتزعمه الاحتكارات الأمريكية ليكون مصيره القتل خلال كارثة جوية غامضة لم تكشف حتى الآن.

وقد لجأ روزي في مسعى إلقاء الضوء على خفايا هذه القضية إلى تحليل الوقائع وإلى وصف الشخصية للوصول إلى استنتاجات وتعميمات محددة تجعل الإمساك بخيوط القضية أمراً متاحاً.. فلم يكتف باعتماد التقصي الرسمي لأسباب الكارثة الذي أجرته السلطات. بل اعتمد تقصيه الخاص معيداً خلق الوقائع والنبش في الوثائق، واستجواب الشهود ليكشف المعنى الحقيقي للحدث وكان أهم ما تضمنه مسعى روزي في هذه القضية هو كشف الكثير من الحقائق في حياة (ماتي) التي توضح الدافع لاغتياله.

ولم يبتعد المخرج الإيطالي رينسو مارتينيللي عن هذا الموضوع عندما تناول اغتيال شخصية إيطالية أخرى هي (الدو مورو) زعيم الحزب المسيحي الديمقراطي بعد اختطافه في فيلم حمل عنوان (ساحة الأقمار الخمسة).. فبينما أشارت تفاصيل القضية إلى مسؤولية الألوية الحمراء عن حادث الاغتيال، يذهب الفيلم إلى كشف حقائق جديدة في القضية تتعلق برغبة مورو في أن يمارس الحزب الشيوعي الإيطالي الذي كان ثاني أكبر قوة سياسية في البلد، دوره في الإسهام الفعلي في معالجة المشكلات الاقتصادية المتفاقمة، مما لم يرق لمتشددي حزبه مثلما لم يرق للإدارة الأمريكية.. وهو ما قدمه الفيلم من خلال الاتهام المباشر للاستخبارات الأمريكية في عملية الاغتيال التي نفذها مقاتلو الألوية الحمراء وهي المفارقة التي عمد الفيلم الخوض فيها.

ويأتي الفيلم الفرنسي عن اغتيال بن بركة في المسعى ذاته خاصة بعد رفع الحكومة الفرنسية السرية عن جميع الوثائق المتعلقة بـ(بن بركة) ولتخوض السينما مرة أخرى في ملابسات قضية مازالت بحاجة إلى الكثير من الكشف بما تمتلكه من قدرة على الاقناع وإعتمادها على إعادة صوغ الواقع وتقديمه مرئياً ومسموعاً.

السينما الألمانية تحقق إنجازات كبيرة وتستعيد أمجادها

بهاء محمود علوان

بعد فترة طويلة من السبات تنهض السينما الألمانية من خلال العديد من الأفلام الممتازة واستطاعت أن تحصل على العديد من الجوائز وعلى إعجاب وتقدير صناع السينما في العالم ومن هذه الأفلام المميزة: السقوط، شتاوفينبرغ، اليوم التاسع، نابولا، كذلك فيلم (عكس التيار) الحائز على جائزة الدب الذهبي بمهرجان برلين السينمائي للمخرج الألماني فاتح أكين.

وفيلم (عكس التيار) يتوج مشوار المخرج أكين السينمائي والذي يناقش موضوعاً جديداً ويتعرض ببساطة إلى المشاكل التي تواجه الجيل الثاني من المهاجرين الاتراك في ألمانيا. وقد حصل هذا الفيلم المتميز بالأداء التمثيلي المبدع على جائزة الدب الذهبي في مهرجان برلين السينمائي. وسبق لهذا المخرج الشاب الذي علق عليه المراقبون قبل أعوام آمال السينما الألمانية أن قدم أفلاماً أخرى مثل (في يوليو) وفيلم (سولينو).

غير أن فيلمه الجديد (عكس التيار) كان بمثابة تتويج لمشواره السينمائي خصوصاً بعد حصوله على جائزة الفيلم الأوروبي التي نظمت فعالياته مؤخراً في برشلونة الإسبانية وحصول بطلته زيبيل كيكيلي على جائزة (بامبي) الألمانية.

ويسرد الفيلم قصة فتاة تركية تربت في بيت تحكمه عادات وتقاليد مسلمة - ومع مرور الوقت قررت زيبيل التمرد على عائلتها والخروج من محيطها. ولكنها تعرف تماماً أن الطريقة الوحيدة لنجاح خطتها هي الزواج من تركي مسلم.

وبعد قيامها عدة مرات بمحاولة انتحار نقلت إلى مصحة نفسية وتعرفت هناك على شاب تركي يكبرها سناً ومدمن على المخدرات والكحول. وفي المصحة النفسية عرضت زيبيل على الشاب التركي (جاهد) أن يتزوجها بشكل صوري. وبعد عقد القران بدأت بممارسة الحياة التي حلمت بها وباشرت بتجريب أشياء حرمت منها في بيت أبيها كالرقص وتعاطي الكحول والمخدرات.

جوائز (غولدن غلوبز) تكرس فيلمي (العلاج) و(الطريق الفرعي)

كرست حفلة توزيع جوائز "غولدن غلوبز" للسينما التي تعتبر مؤشرا لجوائز اوسكار الاحد، فيلمي "الملاح" للمخرج مارتن سكورسيزي حول شباب المنتج هاورد هيوز والكوميديا "الطريق الفرعي" التي كانت ميزانيتها محدودة. وتماشيا مع التوقعات كان فيلم "الملاح" الفائز الاكبر في حفلة توزيع جوائز "غولدن غلوبز" التي تمنحها جمعية الصحافة الاجنبية في هوليوود بنيله ثلاث جوائز: افضل فيلم درامي وافضل ممثل (ليوناردو دي كابريو) وافضل موسيقى اصلية.

واهدى دي كابريو الذي يقوم بدور البطولة الجائزة الى مارتن سكورسيزي "لانه من اكثر الاشخاص الذين اعطوا السينما".

ولم يفز سكورسيزي خلال حياته المهنية التي تمتد اكثر من ثلاثين عاما باي جائزة اوسكار حتى الان. والاحد افلتت جائزة افضل مخرج منه لمصلحة كلينت ايستوود عن فيلمه "فتاة المليون دولار" الذي يروي قصة شابة تحلم بان تصبح ملاكمة.

اما ممثلة الفيلم الرئيسية هيلاري سوانك ففازت بجائزة افضل ممثلة في دور درامي. واغتنمت الفرصة لشكر المخرج ايستوود قائلة "قلبك كبير الى حد تغمر العالم باسره به".

وعلى صعيد الافلام الكوميدية اختير "الطريق الفرعي" كافضل فيلم. والفيلم كوميديا حلوة-مرة كانت ميزانيته محدودة ومن دون ممثل نجم. ويروي الفيلم وهو من اخراج الكسندر باين رحلات صديقين في كروم كاليفورنيا.

وحصد الفيلم جائزة افضل سيناريو ايضا.

وحازت آنيت بينينغ جائزة افضل ممثلة في فيلم كوميدي لدورها في فيلم "بينغ جوليا" حول ممثلة بدأت تشيخ في لندن في الثلاثينات وهو اقتباس عن راوية لسومرست موم.

واثار جيمي فوكس لحظات من التأثر لدى تسلمه جائزته كافضل ممثل في فيلم كوميدي او استعراضي عن تمثيله دورالمغني الاسطوري راي تشارلز في فيلم "راي".

وقال "اعيش هنا اكبر رحلة في حياتي. اتمنى لو كان بمقدوري ان التقط ما اشعر به واوزعه عبر شبكة المياه حتى يتمكن الكل من شربه. لكنا احببنا بعضنا اكثر بكثير".

وفي فئة "افضل فيلم اجنبي" تمت مكافأة الفيلم الاسباني "مار ادينترو" مما قد يخفف من خيبة الامل الاسبانية بعدم فوز خافيير باردیم الممثل الرئيسي في الفيلم بجائزة افضل ممثل مع انه كان الاوفر حظا لنيلها.

ونال الممثل روبن وليامز جائزة عن مجمل حياته الفنية.

وخلال الحفلة التي استمرت ثلاث ساعات تم التطرق الى ضحايا الزلزال والمد البحري الهائل الذي تبعه في آسيا ولا سيما من جانب ليوناردو دي كابريو الذي حث على "الاستمرار في العطاء".

وعرض شريط فيديو مسجل للرئيس الاميركي السابق بيل كلينتون الذي كلفه البيت الابيض تنسيق الهبات الاميركية. وحرص كلينتون على "شكر عالم الفن على تجاوبه السخي".

وكانت النتائج النهائية للجوائز كالآتي:

- افضل فيلم درامي: "افييتور" - افضل فيلم كوميديا او فيلم ستعراضي: "ساييد وايز" - افضل ممثلة (فيلم درامي): هيلاري سوانك (مليون دولار بايبي). - افضل ممثل (فيلم درامي): ليوناردو دي كابريو (افييتور). - افضل ممثلة في كوميديا او فيلم استعراضي: آنيت بينينغ (بينغ جوليا) - افضل ممثل في كوميديا او فيلم استعراضي: جيمي فوكس (راي). - افضل ممثلة في دور ثانوي: ناتالي بورتمان (كلوسير) - افضل ممثل في دور ثانوي: كلايف آلن (كلوسير) - افضل مخرج: كلينت ايستوود (مليون دولار بايبي). - افضل سيناريو: الكسندر باين وجيم تايلور (سايد وايز). - افضل فيلم اجنبي: مار ادينترو (اسبانيا). - افضل موسيقى تصويرية: هاورد شور (فيلم افييتور). - جائزة "سيسيل ب. دو ميل" لمجمل الحياة الفنية: روبن وليامز.

المكتبة السينمائية

استذكارات العاني بين الضوء والظلام

عبد العليم البناء

هذا هو الكتاب الثامن عشر من الكتب التي أصدرها الفنان القدير يوسف العاني الذي انطوى على تجربة حياتية عامة وفنية خاصة شملت فنون الدراما السينمائية والمسرحية والإذاعية والتلفزيونية وعلى مدى زمني يزيد على ستة عقود تقريباً تمخضت - بالضرورة - عن رؤى ومؤشرات ودلائل غنية كان من الطبيعي بل من المفروض على يوسف العاني باعتباره الفاعل والمحرك والمشارك في صياغة ملامح المشهد الفني العراقي بكل تداعياته وتطوراته وانتماءاته أن يقدم خلاصة عميقة وشاملة لأبعاد وحقائق تجربته هذه.

وفي هذا الإطار يجيء كتابه (السينما.. استذكارات بين الضوء والظلام) ليلقي الضوء على جانب مهم من مسيرته الفنية وفي مقدمتها السينما التي كانت بدايتها مع (طرزان) حين (اطفئت أنوار صالة سينما (الوطني) قبل أكثر من ستين عاماً..) حيث يؤكد العاني (صارت السينما عندي وفي حياتي كما عند الكثيرين حاجة من الحاجات اليومية تتبعنا كظلنا ونسعى إليها كالحبيب! ثم انتقلت بنا الحال بعد سنوات من الهواية لتصير شغلنا الشاغل ومسؤولياتنا المباشرة والضوء الذي نبحث عنه).

وهكذا نجد العاني الناقد وكاتب السيناريو والممثل والقائد الإداري وعضو لجنة التحكيم في هذا المهرجان أو ذاك نجده في صفحات هذا الكتاب يرفد المكتبة السينمائية المحلية والعربية التي تشهده ندرة وانحساراً غير طبيعي على عكس ما هو حاصل في المكتبة السينمائية العالمية ليشكل إضاءة حقيقية ليس لتجربة يوسف العاني الذاتية بقدر ما يشكل إضاءة شاملة لمسيرة السينما في العراق والوطن العربي والعالم بما يغني ويفيد قراء هذا الكتاب عبر ست وخمسين مقالة غطت مائتين وأربع وخمسين صفحة في إطار يشبه المذكرات الشخصية واستخلاص الدروس والعبر منها فضلاً عن توفير المعرفة العامة لجيل الشباب الذي لم يتعرف أو يعايش أجواء ومناخات رواد السينما في العراق وكيفية ولوجهم هذا العالم السحري الذي جمع في إطاره جميع الفنون واحتواها بجمالياتها كافة فضلاً عن كونها وسيلة ثقافية متقدمة ومتطورة شكلاً ومضموناً.. فهي (إضافة لكل عناصرها وأدواتها ثقافة).

أخيراً فإن كتاب استاذنا العاني سيظل علامة مشرقة في مسيرته وفي تأريخ السينما العراقية والعربية والعالمية للأسباب التي ذكرناها آنفاً وكما يقول العاني في آخر مقالة من كتابه حملت عنوان (السينما بلا حدود): فإن (الحديث يطول.. لكن لابد من أن نتوقف عند جملة قصيرة واحدة.. السعيد من سيعيش سنوات عمر طوال أخرى ليكتشف ماذا سيقدمه فن السينما للعالم! ماذا؟!)